



ورقة الندوة الدولية :

تراث الأديان الكتابية في المغرب والأندلس

الأعلام والقضايا والخصائص

20-21 ذي القعدة 1445

29-30 ماي 2024

ابتداء من الساعة التاسعة صباحا

بقاعة المؤتمرات والندوات
بمقر مؤسسة دار الحديث الحسنية

أهداف الندوة:

تسعى هذه الندوة إلى:

1. إبراز دور التنوع الديني والثقافي في بلاد المغرب والأندلس في تقدم المجتمع.
2. إظهار نوع الأثر والتأثر الحاصل بين مختلف أتباع الأديان الكتابية.
3. إبراز قيمة التراث الديني الكتابي ببلاد المغرب والأندلس: الفقهي والصوفي والفلسفي واللاهوتي واللغوي
4. العمل على مراجعة هذا التراث ونقده وتحقيقه والاستفادة منه.
5. بيان كيفية تلقي علماء اليهودية والمسيحية للفكر الإسلامي.
6. استنباط قيم التعايش السلمي والحوار الحضاري، وقيم النقاش العلمي الهادف، وكيفية تدبير الخلاف العقدي بين مختلف الأديان.
7. بيان أثر مصادر الأديان الكتابية في توجيه سلوك أتباعها.

محاور الندوة:

المحور الأول: القضايا المنهجية والنظرية الكبرى في دراسة الأديان الكتابية بالمغرب والأندلس:

1. القضايا العقدية والكلامية والفلسفية في الأديان الكتابية.
2. القضايا الفقهية والتشريعية في الأديان الكتابية.
3. القضايا الأخلاقية والروحية في الأديان الكتابية.
4. القضايا المنهجية في دراسة الأديان الكتابية.

المحور الثاني: الإسهامات الفكرية والدينية لعلماء اليهودية والمسيحية في بلاد المغرب والأندلس:

1. الأعلام اليهود وإسهاماتهم في مختلف العلوم الدينية والفلسفية والصوفية.
2. الأعلام المسيحيون وإسهاماتهم في مختلف العلوم الدينية والفلسفية والصوفية.
3. الأعلام المترجمة من أتباع الديانات الكتابية وإسهاماتهم في نقل المعارف الدينية.

المحور الثالث: الإسهامات التأسيسية لعلماء الإسلام في الجدل والمناظرات الدينية :

1. المناظرات الإسلامية المسيحية.
2. المناظرات الموريسكية المسيحية.
3. مناظرات مسلمة أهل الكتاب.

المحور الرابع: خصائص التراث الكتابي في المغرب والأندلس وإسهامات المسلمين في نهضة الحضارة الغربية

1. اليهودية العربية المغربية.
2. الأعمية الموريسكية.
3. اللغات المحكية للمتون المقدسة.
4. إسهامات التراث الإسلامي والكتابي في الحضارة الغربية.

اعتنى المسلمون منذ القرون الأولى للإسلام بالأديان عموماً، وبالأديان الكتابية خصوصاً، دراسة ونقداً وتمحيصاً ومراجعة، ولم يحلْ اهتمامهم بعلوم الشريعة الإسلامية دون نظرهم في الشرائع السماوية السابقة. ولعل الدافع الأساس وراء هذا الاهتمام، ذكر القرآن لأديان الناس ومعتقداتهم، ووصفه لكتبهم وشرائعهم وأخلاقهم، ومناقشتهم مناقشة عقلية وعلمية، معترفاً في الوقت ذاته بأصلها الإلهي المنزل، لذلك عدَّ القرآن الإسلام دين كل الرسل والأنبياء، واعتبر كل الأديان المنزلة من قبل حلقات في سلسلة واحدة مُصدِّقا لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: 50، وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾، الأنبياء: 91. وهذا ما أكده كذلك النبي الكريم في قوله: ﴿مَتَلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسَ يُطَوِّفُونَ بِهِ وَيُعْجِبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ (البخاري، كتاب المناقب باب خاتم النبيين).

لقد نصَّ القرآن على حرية الاعتقاد، فبعدما بيّن عدم صحة كثير من العقائد السائدة قدم بدائله العقديّة والأخلاقية، ثم ترك للناس حرية الاعتقاد، دون أن يؤثّر اعتقادهم أو عدمه في حقهم في العيش وممارسة معتقداتهم، وأمّمهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وضمن لهم كل الحقوق المدنية والاجتماعية وتعد وثيقة المدينة شاهداً على ذلك كله.

وبلاد المغرب والأندلس منذ دخول الإسلام إليها، وخلال فترات الحكم المتعاقب عليها، كانت بلادا تقبل المخالفين وتعترف بهم، وتعدّهم مكوناً من مكونات المجتمع، ولم تقصّر في تقدير مجهوداتهم في بناء الحضارة الإسلامية، وعدّتهم عنصراً من عناصر تقدمها وتطورها، بل كان لبعضهم فضل الإسهام في دخول الإسلام إليها، بحيث دعموا الفاتحين ونصروهم لما تبينت لهم قيم الإسلام وتسامحه واعترافه بالمخالفين.

ومن الطبيعي في ظل هذا الاعتراف، أن يبرز أعلام من مختلف أتباع الديانات الكتابية كان لهم دور رائد في بناء بلاد المغرب والأندلس، من خلال ما خلفوه من نصوص ومؤلفات شتى، ناقشت قضايا فكرية متنوعة في قضايا الدين والمجتمع واللغة والأدب والفكر، وتميزت بخصائص متعددة، كونها معبرة عن ذلك التلاقح الفكري والثقافي بين أتباع الديانات، وكاشفة لتلك الحرية الفكرية والعقدية، والتي تجلت في تأثير بعضهم في بعض، واقتباس بعضهم من بعض ما يراه مناسباً ونافعاً له من قواعد وأصول منظمة، فظهرت النصوص الجدلية النقدية، لتكشف عن جو التعايش السلمي والتنافس العلمي الذي عرفته البلاد، حيث عمل كل فريق على إثبات ما هو عليه، ونقد ما عليه الآخرون، كما تطورت التأليف الخاصة بتعريف كل أصحاب دين بدينهم عقدياً وتشريعياً وأخلاقياً، لإثبات ذواتهم وتقوية لإيمان أتباعهم وتبنيهم إلى ضرورة الحفاظ على خصوصياتهم الدينية وعدم الانصهار في ثقافة الآخر والتأثر بقيمه.

ومن خصائص هذه النصوص النقدية والمراجعة لتراث الآخر، أنها تعطي صورة كل دين لدى مخالفيه من الأديان الأخرى، وتبرز القضايا التي كانت موضوع خلاف بين أتباع الأديان الكتابية، كما تبرز في الآن نفسه نسبية التزامها بمبدأ الموضوعية العلمية، ومدى استحضارها لقيم احترام مشاعر المخالف وإعطائه حقه في الاختلاف، والدفاع على ما يراه صحيحاً وسليماً، واجتباب تحقيره أو ظلمه أو الاستهانة به، وهو ما عبر عنه ابن حزم: في قوله «فإن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في

دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم، قاطعاً دون العلم. وبعض حذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوي معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه، في أن يرضى لها بالغين في الإبانة، وظالماً لخصمه، في أن لم يوفقه حق اعتراضه، وباخساً حق من قرأ كتابه، إذ لم يُعنه عن غيره» (الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت الطبعة الثانية 1996، ج1، ص: 17-18)

إن تراث المغرب والأندلس، لم يتضمّن نصوصاً إسلامية فقط، بل تضمّن أيضاً نصوصاً يهودية ومسيحية تبرز بدورها المستوى الثقافي والاجتماعي والفكري الذي وصل إليه المجتمع المغربي والأندلسي، وتعد شاهداً على قيم التعايش وثقافة الاختلاف وقبول الآخر، سواء في النصوص التي جاءت صريحة في الموضوع، أي التي تناولت مواضيع جدلية وحوارية بين أتباع الأديان الكتابية، أو التي جاءت مضمرة في كتب التراجم والأعلام والسير والأدب والشعر، أو في التأليف الدينية المحضة التي ألفها على الخصوص غير المسلمين لبيان أصول دينهم ومعتقداتهم، أو تفسير فروع شريعتهم، أو من أجل تسييح عقائد دينهم وحفظ أتباعهم من الانصهار والذوبان التام في ثقافة الآخر أو التأثر بمعتقداته، نتيجة ترووجه لدينه، أو بما حققه من تقدم علمي وحضاري.

غير أن مضامين هذه النصوص ومواضيعها ستعرف تغيراً كبيراً، فبعدما كانت كفة المسلمين هي الغالبة، انقلبت بعد سقوط غرناطة سنة 1492م الكفة لصالح المسيحيين، وبعدما كان اليهود والمسلمون أصحاب أرض، باتوا مهاجرين فيها، أو مهجرين منها. ولا شك أن هذا التغيير في الخريطة السياسية والاجتماعية لبلاد الأندلس، سيؤثر على الإنتاج الفكري والتراث الديني لكل طائفة من حيث مضمونه وقضاياها وخصائصه وأسلوب أصحابه ومنهجهم في الكتابة والتأليف. من جهة أخرى سيبرز لدى المسيحيين اتجاه نقدي وشعور بالتمكن من الوضع، مما سيجعل النصوص المسيحية أكثر تعبيراً عن مواقفها اتجاه اليهود والمسلمين، وسيبرز لدى المسلمين واليهود اتجاه دفاعي أكبر مما كان عليه من قبل.

يقتضي ما سلف، الإنصات إلى الحوار الحضاري الذي ظل قائماً بين أتباع الأديان السماوية في الغرب الإسلامي وتخومه المسيحية، حوار منه المعلن، ومنه الخفي، لم يحبّ وهجه البتة أن السلم الشامل وأن اشتداد الصراع السياسي والاجتماعي في فضاءات الغرب الإسلامي. أطرت قضاياها إشكالية الوحي وسبل تدبر المتون الدينية المتنوعة. في علاقتها بحياة المؤمنين جماعات وأفراد. فأضحى من اللازم، في أزمئتنا الراهنة، العمل على مساءلة هذا الحوار، والبحث في تأثيره العميق على أفهام المتحاورين، وإغناء تصوراتهم وتجاربهم الروحية، والنظر في بعض نتائج هذا الحوار، وفي مقدمتها إثراء علوم قدماء اليهودية والمسيحية، وكذا فعل التواصل الحوارية بماوابة ذلك في نشأة علوم مختلفة، رأت النور مع العلماء المسلمين، قبل أن تتبنى ثمارها اليانعة طوائف الأقليات الكتابية على أرض الإسلام جميعها.

لقد وظف المشاركون في هذا الحوار الواسع بين أتباع الأديان السماوية، شبكات شبه موحدة من المفاهيم والمصطلحات المشتركة، وأعملوا مناهج مقاربة في تدبير فهم النصوص المقدسة وتأويلها، وفي استمداد المعارف المختلفة منها. وشكلت الثقافة الإسلامية، بكافة علومها، الإطار المرجعي بامتياز لهذا الحوار المتواصل، وفضاء التعارف الذي أرسى دعائمه، لأول مرة في تاريخ البشرية، التسامح الإسلامي، وبيئة الإبداع الخلاق الذي هيأت له المبادئ الفضلى الراحية في القرآن الكريم لأخلاق العباد كافة على أرض الإسلام.